

لَوْلَا أَنِّي عَرَبَةُ لِغَةِ الْقُرْآنِ لَكَانَ رَصِيرُهَا مِسْرَ الْمَالِكِيَّةِ

بقلم الدكتور عبد العزيز مطر
رئيس قسم اللغة العربية وآدابها
(جامعة الكويت)

وقد انطلقت هذه الانطلاقة الواسعة بالفتح
الاسلامية ، وبالجاليات العربية التي وقفت تدعى الى
الاسلام بلغة القرآن . وساعدت على انتشارها حرص
الناس الذين دخلوا في دين الله على تعلم هذه اللغة،
ليفهموا القرآن والحديث وأصول الدين .

2) اتى على اللغة العربية حين من الدهر كان
المقدر الا تكون فيه شيئاً مذكوراً لولا ان الاسلام
حاجها من الضياع في عهود الاستعمار الذي توالى
على الامة العربية فتعمد اهمال هذه اللغة ، وشجع
نمو اللهجات المحلية التي بلفت في كثرتها حداً كاد
يلحق اللغة العربية في تشعبها باللغة اللاتينية التي
أصبحت عدة لغات هي الإيطالية ، والفرنسية ،
والاسبانية ، والبرتغالية ، والرومانية . كان هذا
ممكناً بالنسبة للغة العربية لولا أنها لغة القرآن .

3) كان لارتباط اللغة بالاسلام ظهراً آخر هو
الاهتمام بتعلم اللغة العربية ، ودرس علومها ،
والتاليف فيها ، عبر القرون الطوال ، مما اكسبها قوة
ونماء ولقد جعل بعض اللغويين تعلم هذه اللغة فرضياً
على كل متعلق من العلم بالقرآن والحديث بسبب ،
يقول الفوسي احمد بن فارس (ت 395 هـ) :
« ان العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم
بالقرآن والسنّة والفتيا بسبب ، حتى لا غنى بأحد
منهم عنه ، ذلك ان القرآن نازل بلغة العرب ، ورسول

ليس من شك في ان ثمة صلة وثيقة بين الاسلام
واللغة التي نزل بها القرآن الكريم وجاء بها الحديث
ال الشريف ، والقى بها تراث المسلمين الخالد .

بيد ان هذه الصلة بين الاسلام واللغة العربية لا
تصل - في رأيي - الى درجة التلازم الذي فسر في
الفقرة الايضاحية للاستفتاء بأنه : لولا الاسلام لما تأسى
اللغة العربية ان تنتشر في العالم كله ، كما انه لو لم تكن
اللغة لغة القرآن لما انتشر الاسلام .

وقد أثبتت هذا الرأي على أدلة تجمعت لدى ،
بعضها يؤكد ان الصلة بين الاسلام واللغة حقيقة
واقعة ، بينما يدل بعضها على ان هذه الصلة لا تصل
إلى درجة التلازم :

اولاً - أدلة الصلة الوثيقة :

1) بفضل الاسلام الذي جاءت دعوته بهذه اللغة ،
ونزلت بها معجزته البيانية الكبرى ، تجاوزت اللغة
العربية حدود شبه جزيرة العرب ، وانطلقت تعم
ارجاء العالم ، ففهنت اللغات : الارامية في العراق
وسوريا ولبنان ، والقبطية في مصر ، والبربرية في
شمال افريقيا ، والکوشيتية في شرق افريقيا .
وأثرت تأثيراً بالغاً في الفارسية في ايران ، والتركية
في بلاد المغول ، والقوطية في الاندلس ، والاردية في
الشمال الغربي من الهند .

لغة المنتصر في الفتح ، وهذا كله ساعد على نشر اللغة العربية .

2) بينما يوجد مسلمون كثيرون لا يعرفون من العربية الا كلمات يوجد كذلك كثيرون من غير المسلمين يجيدون العربية اما دارسين ومؤلفين واما اقليات تعيش في بيوت عربية .

3) الثابت تاريخا ان الاسلام قد انتشر في بلاد فارس دون ان تقضي اللغة العربية على اللغة الفارسية، رغم بقاء بلاد الفرس تحت حكم المسلمين امدا طويلا . وربما كان ذلك بسبب انتمام كل من اللغتين الى قبيلة لغوية مختلفة عن الاخر فالعربية سامية ، والفارسية هندية او ربية .

كذلك لم تقو العربية على ان تقضي على اللغات الاسبانية على الرغم من بقاء الاندلس تحت الحكم العربي نحو سبعة قرون .

4) قد يسبق انتشار الاسلام انتشار اللغة العربية ، كما حدث في مصر فان انتشار اللغة العربية ظل بطئا طوال القرن المجري الاول ولم تستخدم الدواوين اللغة العربية الا في عام 87 هـ . وبذكر المقريزى ان الخليفة المؤمن كان يستعين بمترجم اثناء تنقلاته فى ريف مصر عام 217 هـ اذا كانت القبطية ما زالت شائعة .

وهكذا نرى ان بين انتشار الاسلام وانتشار اللغة العربية علاقة وثيقة ، ولكن هذه العلاقة ليست علاقة سبب او تلازم .

الله (ص) عربي . فمن اراد معرفة ما في كتاب الله - جل وعز - وما في سنة رسول الله (ص) من كل كلمة غريبة ، او نظم عجيب ، لم يجد من المسلم باللغة بدا »

4) ان تلاوة القرآن ، وتفسيره ، وشرح احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، والاحاديث الدينية ، في الاذاعة ، والتليفزيون ، وفي المواقف والمناسبات الاسلامية ، وحرص علماء المسلمين على استخدام الفصحى في هذه المجالات ، كل هذا ساعد على تنمية الحسن اللغوى بين المسلمين ، وعلى نشر آلاف من المصطلحات والكلمات الاسلامية ، تتخلل لمجات الاميين فيبدو فيها التأثير الدينى ، وتقرب من اللغة الفصحى .

5) وكان الحافر الدينى ، والحررص على المحافظة على لغة القرآن ، من اهم الاسباب فى نشأة لون من التاليف يقاوم لحن العامة ، تأسيا بالرسول (ص) الذى قال عندما لحن رجل بحضرته : « ارشدوا اخاكم » وكان لهذه المؤلفات الكثيرة اثرها فى تجنب اللحن ونشر الفصحى .

ثانيا - هذه الصلة ليست صلة تلازم :

1) من ادلة ذلك ان عدد المسلمين فى العالم الان يبلغ 616.336.943 بينما يقل عدد المتكلمين بالعربية عن هذا المدد بكثير جدا . ذلك ان انتشار الاسلام ارتبط بانتشار اللغة بسبب الجاليات العربية التي صاحبت الفتوح الاسلامية ، وبسبب الارتباط بين الدين والدولة ، وان اللغة العربية كانت

